الخلاصـة

نجح الإعلام الغربي في لفت انتباه العالم لقضية العنف والإرهاب في العالم الإسلامي وخاصة في الغرب الأفريقي، ولكن لم يفرد الإعلام أي مساحة للأسباب التي جعلت الشباب في كثير من البلاد الإسلامية تتخلى عن الحياة طواعية لتذهب بفكرها إلى العنف للبحث عن نظام بديل يكفل له الحق في عدالة تنشدها ولم تجدها في مجتمعاتها، لم يلق الإعلام الضوء على فساد الحياة السياسية والاجتماعية في هذه البلدان خاصة في بلد مثل نيجيريا يملك ثروة نفطية هائلة ويعيش أغلب سكانه ما بين الفكر والتهميش والظلم وانتشار الجهل والأمية.

خلاصة الأمر لما تم استعراضه خلال طيات هذه الدراسة حول العنف في الغرب الأفريقي حالتي مالي ونيجيريا في حقيقته، أن هذه الحركات إنما هي ردود أفعال على قدر كبير من التلقائية للعديد من المشاكل والمآسي التي تحيط بكل الشئون الأفريقية الاجتماعية والسياسية والمعاشية والاقتصادية، وهي ردود فعل لمشاكل عميقة الجذور في هذه المجتمعات. هناك الجوع

والفقر في قارة تزدحم أراضيها بالثروات الطبيعية، وشعبها " كالعير يقتلها الظمأ والماء فوق ظهورها محمول" كما يقول الشاعر العربي القديم، وهناك تاريخ الاسترقاق الذي خلف جروحًا عميقة في النفس الأفريقية ويميل فئات منها إلى العنف الذي هو بعض مما لاقى هذا الشعب في تاريخه الطويل، وهناك الاستعمار الغربي الذي لم يكتف بنهب الثروات الطبيعية الأفريقية واستغلال الأفريقيين شبه أرقاء في مشاريعه الاقتصادية، ولكنه عمل على سحق الشخصية الأفريقية ذات التراث الثقافي والحضارات المتعددة.

كما أن هناك تشكيلات جديدة لدول أفريقية ذات حدود رسمها الاستعمار الغربي على الأراضي الأفريقية وأدت إلى تمزيق الوحدات الاجتماعية لسكان القارة من حيث القبائل أو الوحدات اللغوية أو الوحدات الخاصة بالجماعات الثقافية والعقيدية، وهناك حكومات استبداد من نخب أفريقية أنشأتها القوى الاستعمارية وربتها للتحول إلى عملاء حضاريين للسياسات الغربية تمارس الأساليب الغربية على الشعوب الأفريقية ولكن بوجود أفريقي.

كل ذلك تجيء ردود فعله بتلك الحركات والجماعات التي ذكرنا بعضًا منها في هذه الدراسة. ويلاحظ أن القوى الغربية وأدوات الإعلام الغربي تصور هذه الحركات بما لا يزيد عن القسوة غير المبررة والحمق غير المفسر إلا باعتبارها ظواهر تخلف شعبي وظواهر فكر إسلامي أو فكر

أفريقي موصوم دائمًا بالتخلف والقسوة، وذلك بغير أن يدركوا أن الفكر الإسلامي أو أي فكر أفريقي أو عقائد أفريقية إنما تتولد منه تيارات متباينة للعمل السلمي أو العمل العنيف حسب الظروف التاريخية والاجتماعية والسياسية التي تمر بها أية جماعة، وأن الفكر الأوروبي الحديث الموصوف دائمًا بالتقدم والإنسانية والديمقراطية هو نفسه تولدت عنه الحركات النازية والفاشية وتولد منه كل ما عرف العالم وعانى من استعمار ونهب لثروات الشعوب، وقدم للعالم عشرات الملايين من الذبائح البشرية من الهنود الحمر سكان أمريكا الأصليين واسترق الأفريقيين أنفسهم مئات من السنين.

لا شك أن ثمة انحرافات في تفكير تلك الجماعات التي تكلمنا عنها، ولكننا في إدراك جوانب الانحراف فيها يتعين أن نلحظ الأسباب الاجتماعية والسياسية التي أدت إلى ذلك، وتراكمات المظالم التي أفرزت هذه التلقائية الحادة في ردود الفعل، وأن ندرك أننا إن عاملنا أناسًا بقسوة غير إنسانية فعلينا أن ننتظر منهم ونتوقع ردود فعل تلقائية من نفس النوع.

كما ينبغي أن يكون موقفنا ليس مجرد الهجوم على ما في هذه التكوينات من أخطاء وسلبيات، ولكن أن نفكر في كيف يمكن هدايتها إلى ما ينفعها وينقي فكرها وأهدافها السياسية من هذه السلبيات.

■■■